فرش كتاب اللؤلؤة في السلطان

السلطان زِمام الأمور، ونِظام الحقوق، وقِوام الحدود، والقطب الذي عليه مَدار الدنيا؛ وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود على عباده؛ به يَمتنع حَريمهم، وينتصر مظلومهم، وينقمِع ظالمهم، ويأمَن خائفهم.

قالت الحكماء: إمام عادِل، خير من مطر وابل؛ وإمام غشُوم، خير من فتنة تدُوم؛ ولما يَزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن.

وقال وهب بن منبِّه: فيما أنزل الله على نبيِّه داود عليه السلام: إنّي أنا الله مالِك الملوك، قلوبُ الملوك بيدي، فمن كان لي على طاعة. جعلتُ الملوك عليهم نِعمة، ومن كان لي على معصية جعلتُ الملوك عليهم نقمة.

فحقٌّ على من قلَّده الله أزمة حُكمه، وملَّكه أمور خلقه؛ واختصَّه بإحسانه، ومَكَّن له في سلطانه، أن يكون من الاهتمام بمصالح رعيته، والاعتناء بمرافق أهل طاعته؛ حيث وضعه الله ـ عزّ وجل ـ من الكرامة، وأجرى له من أسباب السعادة. قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿**الذين إن مكَّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾[1].

وقال حذيفة بن اليمان: ما مشى قوم قطُّ إلى سلطان الله في الأرض ليذِلُّوه إلا أذَلَّهُم الله قبل موتهم[2].

وقال النبي ﷺ: «**عدلُ ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة**»[3].

---

(١) سورة الحج آية ٤١.

(٢) ويوافق هذا ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن أبي بكرة مرفوعا عن النبي ـ ﷺ ـ: «**من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله**». حَسَّنه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٨٧.

(٣) روى الديلمي عن أبي هريرة بلفظ: «**عدل حكم ساعة خير من عبادة سبعين سنة**» وأسنده من طريق أبي نعيم انظر كشف الخفا ٢/٧٥، ونصب الراية ٤/٦٧. وروى مسلم في حديث زهير قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل**. =

وقال ـ ﷺ ـ: «كلُّكم راعٍ وكلُّ راعٍ مسئولٌ عن رعيَّته»(١).

وقال الشاعر:

فكُلكم راع ونحن رَعيَّةٌ وكلٌّ سيلقَى ربَّه فيَحاسبُه

ومن شأن الرعيّة قلّة الرضا عن الأئمة، وتَحجُّر(٢) العُذر عليهم، وإلزام اللائمة لهم؛ ورُبَّ ملومٍ لا ذنب له. ولا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة، إذ كان رضا جُملتها، وموافقة جماعتها؛ من المعجز الذي لا يُدرك، والممتنع الذي لا يملك؛ ولكلٍ حصته من العدل، ومنزلته من الحكم.

فمن حق الإمام على رعيته أن تَقضِيَ عليه بالأغلب من فعله، والأعمِّ من حكمه. ومن حق الرعية على إمامها حسن القبول لظاهر طاعتها، وإضرابه صفحا عن مكاشفتها، كما قال زياد لمَّا قدم العراق واليا عليها: أيها الناس، قد كانت بيني وبينكم إحَن، فجعلتُ ذلك دبر أذني، وتحت قَدمي، فمن كان محسناً فليزِد في إحسانه، ومن كان مسيئاً فلينزع عن إساءته. إنّي والله لو علمتُ أن أحدكم قد قتله السِّلُ من بُغضي لم أكشف له قناعاً، ولم أهتك له سترًا، حتى يبدي صفحته لي.

وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان الإمام جائرًا فعليه الوزر وعليك الصبر.

وقال كعب الأحبار: مثل الإسلام والسلطان والناس مثل الفُسطاط والعمود والأطناب والأوتاد، فالفُسطاط الإسلام؛ والعمود السلطان؛ والأطناب والأوتاد الناس. ولا يَصلُح بعضها إلا ببعض.

= وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا». انظر صحيح مسلم كتاب الإمارة/ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر. . . . .

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) التحجر: والتضييق؛ يقال: تحجر على ما وسعه الله، أي ضيقه. يريد أن الرعية تُضيِّق العذر على أئمتهم فلا تقبل منهم معذرة.

وقال الأفوَه الأودي:

لا يصْلحُ الناس فوضَى لاسَراة لهم ... ولا سَراة إذا جُهَّالهم سادُوا
والبيت لا يُبتنى إلا له عَمَد ... ولا عِماد إذا لم تُرس أوتادُ
فإن تَجمَّع أوتادٌ وأعمدةٌ ... يوما فقد بَلغوا الأمر الذي كادُوا

نصيحة السلطان ولزوم طاعته

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسُولَ وأُولي الأمرِ منكم﴾[1].

وقال أبو هُريرة: لمّا نزلت هذه الآية أُمِرنا بطاعة الأئمة؛ وطاعتهم من طاعة الله، وعِصيانهم من عصيان الله[2].

وقال النبي ـ ﷺ ـ: «من فارق الجماعة، أو خلع يداً من طاعة، مات مِيتةً جاهلية»[3].

قال ـ ﷺ ـ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة. قالوا: لمن يارسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأولي الأمر منكم»[4].

فَنصحُ الإمام ولزوم طاعته واتِّباع أمره ونهيه في السر والجهر فَرضٌ واجب، وأمرٌ لازم، ولا يتم إيمانٌ إلا به، ولا يثبُت إسلامٌ إلا عليه.

روى الشعبي عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال لي أبي: أرى هذا الرجل ـ يعني عمر بن الخطاب ـ يستفهمك ويُقدِّمك على الأكابر من أصحاب محمد ـ ﷺ ـ،

---

(١) سورة النساء (٥٩).

(٢) وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أُولي الأمر من الأمراء والعلماء» تفسير القرآن العظيم ١/٥١٨ دار الفكر.

(٣) رواه مسلم وأحمد والنسائي عن أبي هريرة بلفظ: «مَنْ خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات؛ مات ميتةً جاهلية» وفي لفظ آخر: «من خلع يدًا من طاعةٍ لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» أخرجه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه مسلم بنحوه عن تميم الداري.

وإني موصيك بخلال أربعَ : لا تُفشينَّ له سرّاً، ولا يُجرِّبنَّ عليك كذباً، ولا تطوِ عنه نصيحة، ولا تغتابنَّ عنده أحداً.

قال الشعبي : فقلت لابن عبّاس : كُلُّ واحدٍ خيرٌ من ألف؟ قال : إي والله، ومِن عشرة آلاف.

وفي كتاب الهِند[1] : أن رجلاً دخل على بعض ملوكهم، فقال : أيها الملك، إن نصيحتَك واجبة في الصغير الحقير، والكبير الخطير. ولولا الثقة بفضيلة رأيك، واحتمالك ما يسوء موقعه من الأسماع والقلوب في جَنب صلاح العامّة وتَألُّف الخاصة، لكان خرقا مني أن أقول. ولكنا إذا رجعنا إلى أن بقاءنا موصول ببقائك، وأنفُسَنا متعلِّقةٌ بنفسك؛ لم نجد بُداً من أداء الحق إليك، وإن أنت لم تسلني ذلك؛ فإنه يُقال : من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بثَّه، فقد أخلَّ بنفسه. وأنا أعلم أنَّ كُلَّ ما كان من كلام يكرهه سامعه لا يتشجع عليه قائلهُ، إلا أن يثق بعقل المقول له ذلك. فإنه إذا كان عاقلا احتمل ذلك، لأنه ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل. وإنك أيها الملك ذو فضيلة في الرأي، وتصرف في العلم، ويشجعني ذلك على أن أخبرك بما تكره، واثقاً بمعرفتك نصيحتي لك وإيثاري إياك على نفسي.

وقال عمرو بن عُتبة للوليد[2]، حين تغيّر الناس عليه : يا أمير المؤمنين، إنه يُنطقني الأُنسُ بك، وتسكتني الهَيبةُ لك، وأراك تأمن أشياء أخافها عليك؛ أفأسكُت مُطيعاً أم أقول مُشفقاً؟ قال : كلٌّ مَقبولٌ منك، ولله فينا علم غيب نحن صائرون إليه. فقُتل بعد ذلك بأيام.

وقال خالد بن صفوان : مَنْ صَحِبَ السلطان بالصحة والنصيحة كان أكثر عدوًا ممن صحبه بالغش والخيانة؛ لأنه يجتمع على الناصح عدوُّ السلطان وصديقه بالعداوة والحسد، فصديق السلطان ينافسه في مرتبته، وعدوه يُبغضه لنصيحته.

---

(١) كتاب الهند هو كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع.

(٢) عمرو بن عتبة : كان يكتب للوليد بن يزيد على خاص أمره ويلزم حضرته، وليس هو عمرو بن عتبة بن أبي سفيان؛ لأن هذا قُتل في فتنة ابن الأشعث سنة ٨٣ هـ والوليد قتل سنة ١٢٦هـ.

ما يصحب به السلطان

قال ابن المُقفع: ينبغي لِمن خدم السلطان أن لا يغترَّ به إذا رضي، ولا يتغير له إذا سخط، ولا يستثقل ما حمله، ولا يُلحف في مسألته.

وقال المأمون: الملوك تتحمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القَدح في المَلِك، وإفشاء السرّ، والتعرض للحرم.

وقال ابن المقفع: إذا نزلتَ من السلطان بمنزلةِ الثقة فلا تلزم الدعاء له في كل كلمة، فإنَّ ذلك يوجب الوحشة ويُلزم الانقباض.

ولما قدم مُعاوية من الشام ـ وكان عمر قد استعمله عليها ـ دخَل على أمه هند، فقالت له: يابُنيَّ، إنَّه قلَّما ولدت حرة مثلك، وقد استعملك هذا الرجل، فاعمل بما وافقه، أحببت ذلك أم كرهته. ثم دخل على أبيه أبي سفيان، فقال له: يابني، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم، فَرفعهم سَبقهم وقصَّر بنا تأخرنا، فصِرنا أتباعا وصاروا قادة. وقد قلدوك جَسيما من أمرهم، فلا تخالفنَّ أمرهم؛ فإنَّك تجري إلى أمدٍ لم تبلغه ولو قد بلغته لنوفست فيه.

قال معاوية: فعَجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ.

وقال أبرويز لصاحب بيت المال: إني لا أعذِرك في خيانة درهم ولا أحمدَك على صيانة ألف ألف؛ لأنَّك إنَّما تَحقِن بذلك دمك وتقيم أمانتك، فإن خُنت قليلاً خُنتَ كثيرًا؛ واحترس من خصلتين: النُقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطي. واعلم أني لم أجعلك على ذخائر الملك وعِمارة المملكة والقوة على العدو، إلا وأنت عندي آمنُ من موضعه الذي هو فيه، وخواتمه التي هي عليه، فحقِّق ظني باختياري إياك أحقق ظنك في رجائك إياي، ولا تتعوض بخير شرا، ولا برفعه ضعة، ولا بسلامة ندامة، ولا بأمانة خيانة.

ولما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد خُراسان، قال له: إن أباك كفى أخاه عظيما، وقد استكفيتُك صغيراً، فلا تتَّكلنَّ على عُذرٍ مني، فقد اتكلت على كفاية

منك. وإياك مني قبل أن أقول إياي منك، فإن الظن إذا أُخلِفَ مني فيك أُخلِفَ منك فيَّ وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تُرِيحن نَفَسك.

وقال يزيد: حدثني أبي: أن عمر بن الخطاب لما قَدِم الشام قدِم على حِمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار، فتلقَّاهما معاويةُ في موكب ثقيل، فجاوز عمر معاوية حتى أُخبِرَ به، فرجع إليه، فلما قرُب منه نزل إليه، فأعرضَ عنه، فجعل يمشي إلى جنبه راجلا. فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبت الرجل. فأقبل عليه عُمر، فقال: يا معاوية، أنت صاحب الموكب آنفًا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: نعم ياأمير المؤمنين. قال: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنَّا في بلادٍ لا نمتنع فيها من جواسيس العدو، ولابد لهم مما يُرهِبهم من هيبة السلطان، فإن أمرتني بذلك أقمت عليه، وإن نهيتني عنه انتهيت. فقال: لئن كان الذي تقول حقا فإنه رأيُ أريبٍ، وإن كان باطلا إنها خدعةٌ أديبٍ، وما آمرك به ولا أنهاك عنه. فقال عبد الرحمن بن عوف: لحَسن ما صدر هذا الفتى عما أوردتـه فيه! فقال: لحُسن مصادره وموارده جَشَّمناه ما جَشَّمناه.

ومما يُصحب به السلطان: أن لا يُسلَّم على قادم بين يديه، وإنما استنَّ ذلك زياد، وذلك أن عبد الله بن عباس قَدِم على معاوية وعنده زياد، فرحب به مُعاوية وألطفه وقرَّب مجلسه، ولم يُكلمه زيادٌ شيئا فابتدأه ابنُ عباس وقال: ما حالك أبا المغيرة؟ كأنك أردتَ أن تُحدِثَ بيننا وبينك هجرا! قال: لا، ولكنه لا يُسلَّم على قادم بين يدي أمير المؤمنين؛ فقال له ابن عباس: ما ترك الناسُ التحيةَ بينهم بين يدي أمرائهم. فقال له مُعاوية: كُفَّ عنه يابن عبّاس فإنك لا تشاء أن تَغلب إلا غَلَبْ.

وقالوا: يَنبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتُم عنه نصيحةً وإن استثقلها وليكُن كلامه له كلام رفقٍ لا كلام خُرق؛ حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك، ولكن يضرب له الأمثال ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه.

وقالوا: من تَعرَّض للسلطان أرداه، ومن تطامن له تخطَّاه، فشبَّهوا السلطان في ذلك بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان لها وتمايل معها من الحشيش والشجر، وما

استهدف لها قصمته. قال الشاعر:

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدانَ نبعٍ ولا يعَبأن بالرتم[١]

وقال شبيب بن شيبة: ينبغي لمن ساير خليفة أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الخليفة أن يسأله عن شيء لم يحتج إلى أن يلتفت، ويكون من ناحية إذا التفت لم تستقبله الشمس.

اختيار السلطان لأهل عمله

لما وجَّه عُمر بن هبيرة مُسلم بن سعيد إلى خُراسان، قال له: أوصيك بثلاثة: حاجبك، فإنه وجهك الذي به تلقى الناس، إن أحسن فأنت المُحسن، وإن أساء فأنت المُسِيء، وصاحب شرطتك؛ فإنه سوطك وسيفك، حيث وضعتهما فقدّر ضِعتهما[٢]. [و] عمال القدر[٣]. قال: وماعُمال القدر؟ قال: أن تختار من كل كورة رجالا لعملك فإن أصابوا فهو الذي أردت، وإن أخطأوا فهم المخطئون وأنت المصيب.

وكتب عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله إلى عدي بن أرطاة: أن اجمع بين إياس ابن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشني، فولِّ القضاء أنفذهما فجمع بينهما، فقال له إياس: أيها الرجل، سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة: الحسن البصري وابن سيرين ـ وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين، وكان إياس لا يأتيهما ـ فعلم القاسم أنه إن سألهما عنه أشارا به. فقال القاسم: لاتسأل عني ولا عنه، فوالله الذي لا إله إلا هو، إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء، فإن كنت كاذبًا فما ينبغي أن تولِّيني، وإن كنت صادقاً، فينبغي لك أن تقبل قولي. فقال له إياس: إنك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة، يستغفر الله منها وينجو

---

(١) النبع: من شجر الجبال تتخذ منه القسيّ وربما اقتدح به. والرتم: نبات من دق الشجر، كأنه من دقته يشبه بالرتم، وهي الخيوط.

(٢) الضعة (بالكسرة): الوضع.

(٣) يريد «بعمال القدر»: ذوي الشرف والحسب.

مما يخاف. فقال له عديّ: أما إذ فهمتها فأنت لها، فاستقضاه.

قال عَدِي بن أرطاة لإياس بن معاوية دُلّني على قوم من القرَّاء أوَلِّهم فقال له: القرَّاء ضربان: ضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا، فما ظنك بهم إذا أمكنتهم منها؟ ولكن عليك بأهل البُيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولِّهم.

أيّوب السختيانيّ، قال: طُلب أبو قِلاَبة لقضاء البصرة، فهرب إلى الشام، فأقام حينا ثم رجع. قال أيوب: فقلت له: لو ولْيتَ القضاء وعدلتَ كان لك أجران. قال: ياأيوب، إذا وقع السابح في البحر كم عسى أن يسبح!

وقال عبد الملك بن مروان لجلسائه: دُلّوني على رجل استعمله. فقال له روح ابن زنباع: أدلك ياأمير المؤمنين على رجُل إن دعوتموه أجابكم، وإن تركتموه لم يأتكم؛ ليس بالملحف طلبا، ولا بالممعن هربا: عامر الشعبي. فولاَّه قضاء البصرة.

وسأل عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله أبا مجلز عن رجل يوليه خراسان. فقال له: ما تقول في فلان؟ قال: مصنوع له وليس بصاحبها. قال: ففُلان؟ قال: سريع الغضب بعيدُ الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل، ويحسُد أمه، ويُنافس أباه، ويحقر مولاه. قال: ففلان؟ قال: يُكافيء الأكفاء، ويعادي الأعداء، ويفعل ما يشاء. قال: ما في واحد من هؤلاء خير.

وأراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يستعمل رجلاً. فبدر الرجل فطلب منه العمل. فقال عمر: والله لقد كنت أردتك لذلك، ولكن من طلب هذا الأمر لم يُعن عليه.

وطلب رجلٌ إلى النبي ﷺ أن يستعمله، فقال له: «**إنا لا نستعمل على عملنا من يريده**»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم بنحوه عن أبي موسى وفي لفظ: «**لن أو لا نستعمل على عملنا من أراده**» رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وطلب العبَّاس عم النبي - ﷺ - إلى النبي ولاية. فقال: «**ياعم، نفس تُحييها، خير من ولاية لا تُحصيها**»[١].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد: فر من الشرف يتبعك الشرف، واحرص على الموت توهب لك الحياة.

وقال إياس بن معاوية: أرسل إليَّ عمر بن هبيرة فأتيته، فساكتني فسكتُّ، فلما أطلت قال: هِيه. قلت: سل عما بدا لك. قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: أتفرض الفرائض؟ قلت: نعم. قال: أتعرف من أيام العرب شيئًا؟ قلت: نعم. قال: أتعرف من أيام العجم شيئا؟ قلت: أنا بها أعرف. قال: إني أريد أن استعين بك على عملي. قلت إن فيَّ خلالا ثلاثًا لا أصلح معها للعمل. قال: وماهي؟ قلت: دَميم كما ترى، وأنا حديد، وأنا عيّ. قال: أما دمَامتك فإني لاأريد أن أحاسن الناس بك، وأما العيّ فإني أراك تُعرب عن نفسك، وأما الحدّة فإن السوط يقوِّمك. قُم قد وليتك. قال: فولاَّني وأعطاني مائةً درهمٍ. فهي أول مال تمولتُه.

وأراد عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله مكحولاً على القضاء، فأبى عليه. قال له: وما يمنعك؟ قال مكحول: قال رسول الله ﷺ: «**لايَقضِ بين الناس إلا ذو شرَف في قومه**»[٢] وأنا مولى.

ولما قَدِم رجال من الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن أبي وقاص، قال: من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليت عليهم التقي ضعَّفوه، وإن وليتُ عليهم القوى فجَّرُوه. فقال له المغيرة: ياأمير المؤمنين، إن التقي الضعيف له تقواهُ وعليك ضعفُه. والقوى الفاجر لك قُوته وعليه فُجوره. قال: صدقت، فأنت القويّ الفاجر، فاخرُج إليهم. فخرج عليهم، فلم يزَل عليهم أيام عُمر وصدرًا من أيام عثمان وأيام مُعاوية حتى مات المُغيرة.

---

(١) أورده ابن سعد في الطبقات/جـ ٤ ص ٢٧ عن محمد بن المنكدر وهو منقطع بين العباس وابن المنكدر.

(٢) الحديث لم أقف عليه.

حسن السياسة وإقامة المملكة

كَتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره أن يكتب إليه بسيرته. فكتب إليه: إني أيقظت رأيي وأنمت هواي، فأدنيت السيد المطاع في قَومه، ووليت الحرب الحازِم في أمره، وقلدت الخراجَ الموفرَ لأمانته. وقسمت لكُلِ خصم من نفسي قَسما، أعطيه حظاً من لطيف عنايتي ونظري. وصرفت السيف إلى النطف[1] المُسيء، والثواب إلى المُحسن البريء، فخاف المريب صولة العقابِ، وتمسَّك المُحسنُ بحظه من الثواب.

وقال أردشير لابنه: يابُنيَّ: إن المُلكَ والعدلَ أخوان لاغنى بأحدهما عن الآخر، فالمُلك أسُ والعدل حارس. والبناء ما لم يكن له أس فمهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع. يابني، اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسرك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول.

وقالت الحكماء: مما يجب على السلطان أن يلتزمه: العدلُ في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي ضميره لإقامة أمر دينه؛ فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان. ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، لايقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما، ولا يدور إلا عليهما، مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلها. وينبغي لمن كان سلطانا أن يقيم على نفسه حُجة الرعيّة، ومن كان رعيّة أن يقيم على نفسه حجة السلطان. وليكن حُكمُه على غيره مثل حُكمه على نفسه. وإنما يَعرف حقوق الأشياء من يعرف مَبلغ حدودها ومواقع أقدارها. ولا يكون أحدٌ سلطانًا حتى يكون قبل ذلك رعية.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلُّكم يَترشَح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيفُ مسلولٌ، ومال مُبذولٌ، وعدل تطمئن إليه القلوب.

---

(١) النطف: المتهم بريبة.

وذكر أعرابيّ أميرًا فقال: كان إذا وَلِيَ لم يُطابق بين جُفونه، وأرسل العيون على عيونه؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم، فالمحسن راج والمُسيء خائف.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لا يصلح لهذا الأمر إلا اللين من غير ضعف، القوى من غير عنف.

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه: يا أبت ما السياسة؟ قال: هَيبةَ الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع.

وقال أردشير لأصحابه: إنِّي إنما أملك الأجساد لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالرضا، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر.

وكان عمرو بن العاص يقول في مُعاوية: اتقوا أكرم قريش وابن كريمها، من يضحك في الغضب ولا ينام إلا على الرِّضا[1]، ويتناول ما فوقه من تحته[2].

وقال معاوية: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبدا. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها!

وقالت الحكماء: أسوس الناس لرعيته، من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها، وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة!

وقال أبرويز لابنه شيرويه. لا توسعن على جُندك سعة يستغنون بها عنك، ولا تُضيقن عليهم ضيقا يضجون به منه، ولكن أعطهم عطاء قصدا، وامنعهم منعًا جميلاً، وابسُط لهم في الرجاء، ولا تبسط لهم في العطاء.

ونحو هذا قول المنصور لبعض قواده: صدق الذي قال: أجع كلبك يتبعك، وسمنه يأكلك. فقال له أبو العباس الطوسيّ: أما تخشى يا أمير المؤمنين إن أجعته أن يُلوِّح له غيرُك برغيف فيتبعه ويدعك.

وخطب سعيد بن سويد بحمص، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس

---

(١) أي إنه لا يبيت إلا منتقما ممن أغضبه مرضياً نفسه بذلك.

(٢) يصفه بالدهاء وحسن السياسة وسِعة الحيلة، حتى إنه ينال ما صعب من الأمور بأيسر وسيلة.

إن للإسلام حائطاً منيعاً وباباً وثيقاً، فحائط الإسلام الحق وبابه العدل. ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان. وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل.

وفي كتاب التاج: أن أبرَويز كتب لابنه شيرويه يوصيه بالرعيّة: وليكُن من تختاره لولايتك أمرأ كان في ضَعة فرفعته، أو ذا شرف كان مهملاً فاصطنعته. ولا تجعله امرأً أصبته بعقوبة فاتضع لها، ولا امرأً أطاعك بعد ما أذللته، ولا أحدًا ممن يقع في قلبك أن إزالة سُلطانك أحبّ إليه من ثبوته. وإياك أن تستعمله ضَرعاً غَمراً[1] كثيراً إعجابه بنفسه، قليلاً تجربته في غيره؛ ولا كبيراً مُدبرا قد أخذ الدهر من عقله، كما أخذت السنّ من جسمه.

بسط المعدلة ورد المظالم

الشَّيباني قال: حدَّثنا محمد بن زكريا عن عباس بن الفضل الهاشمي عن قحطبة ابن حُميد قال: إنِّي لواقف على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم، فكان آخر من تقدَّم إليه ـ وقد هم بالقيام ـ امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر المأمون إلى يحيى ابن أكثم. فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أَمَة الله، تكلمي بحاجتك. فقالت:

يا خيرَ مُنتصف يُهدىٰ له الـرشـدُ ... ويـا إمـامـاً به قد أشرقَ الـبـلـدُ
تَشكـو إليـك ـ عميد القوم ـ أرملةٌ ... عُدِي عليهـا فلم يُترك لها سَبـد[2]
وابتـزَّ منّى ضِيـاعي بعـد مَنعتهـا ... ظُلما وفُـرِّق مني الأهـل والـولـد

فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دُون ما قلتِ زال الصبرُ والجلدُ ... عني وأقـرِح منّى القلب والكبـدُ

---

(١) الضرع، الضعيف. والغمر: الذي لا تجربة له.

(٢) السبد الشعر، ويُكنى به عن الإبل؛ كما يُكنى بالوبر عن الغنم، فيقال: ماله سبد ولا لبد، أي ليس له وبر ولا صوف متلبد، يريد إبلا وغنما.

هذا أذانُ صلاة العصر فانصرفي ... وأحضري الخصم في اليوم الذي أعِد
فالمجلسُ السبتُ ـ إن يُقض الجلوس لنا ... نُنصِفك منه ـ وإلا المجلسُ الأحد

قال: فلمَّا كان يوم الأحد جلس، فكان أوَّل من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت: السلامُ عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام ثم قال: أين الخَصم؟ فقالت: الواقفُ على رأسك يا أمير المؤمنين ـ وأومأت إلى العبَّاس ابنِه ـ فقال: ياأحمد بن أبي خالد، خُذ بيده فأجلسه معها مجلس الخُصوم. فجعل كلامها يعلو كلام العباس. فقال لها أحمد بن أبي خالد: ياأمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تُكلمين الأمير، فاخفضي من صوتك. فقال المأمون: دعها ياأحمد، فإنَّ الحقَّ أنطقها والباطل أخرَسه. ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وظَلم العبَّاس بظُلمه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي ببلدها أن يُوغر[1] لها ضيعتها ويحسن معاونتها، وأمر لها بنَفقة.

العُتبيّ قال: إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذا أقبل إبراهيم بن محمد ابن طلحة وصاحبُ حرسَ هشام حتى قعدا بين يديه، فقال: إن أمير المؤمنين جَرَّاني[2] في خُصومة بينه وبين إبراهيم. فقال القاضي: شاهِديك على الجِراية[3]. فقال: أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل، وليس بيني وبينه إلاهذه السترة! قال: لا، ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك إلا ببيِّنة. قال: فقام الحَرسي فدخل على هشام فأخبره. فلم نلبث أن تقعقعت الأبواب وخرج الحرسيّ، وقال: هذا أمير المؤمنين. وخرج هشام، فلما نظر إليه القاضي قام، فأشار إليه وبسط له مصلى، فقعد عليه وإبراهيم بين يديه. وكنّا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنَّا بعضُه قال: فتكلما وأحضرا البيِّنة، فقضى القاضي على هشام بن عبد الملك. فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعضُ الخُرق فقال: الحمد لله الذي أبان للناس ظُلمك. فقال له

---

(١) يوغر لها ضيعتها، أي يسقط عنها خراجها.

(٢) جراني، أي وكلني.

(٣) الجراية (بفتح الجيم وكسرها): الوكالة.

هشام: هَممت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحمُك عن عظمك. قال: أما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق. فقال هشام: يا إبراهيم، استُرها عليّ. قال: لاستر الله عليّ إذاً ذنبي يوم القيامة إن سترتها. قال: فإني مُعطيك عليها مائة ألف. قال إبراهيم: فسترتها عليه أيامَ حياته ثمنًا لما أخذت منه، وأذعتُها بعد مماته تَزيينا له.

قال: وورد على الحجَّاج بن يوسف سُلَيك بن سُلكة، فقال: أصلح الله الأمير، أرعِني سَمعك، واغضض عنّي بصرك، واكفُف عني غربك. فإن سمعت خطأً أو زَللاً فدُونك والعقوبة. قال: قل. فقال: عصَى عاصٍ من عرض العشيرة فحُلق على اسمي[1]، وهُدم منزلي وحرمت عطائي. قال: هيهات! أو ما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجني عليك وقد ... تُعدي الصِّحَاح مبَارِك الجُرب
ولرُب مأخوذ بذنب عشيرة ... ونجا المُقارِفُ صاحبُ الذَّنب!

فقال: أصلح الله الأمير، إني سمعتُ الله عز وجل يقول غير هذا. قال: وماذاك؟ قال: قال الله تعالى: ﴿**يـأيها العزيز إن له أبا شيخًا كبيرًا فخذ أحدنا مَكانه إنَّا نرَاك من المحسنين. قال مَعاذ الله أن نأخُذ إلاَّ من وجدنا مَتاعَنا عنده إنَّا إذًا لظالمون**﴾[2]. قال الحجاج: علَيَّ ببزيد بن أبي مُسلم. فمَثُل بين يديه. فقال: افكُك لهذا عن اسمه، واصكك له بعطائه، وابنِ له منزله، ومُر مناديًا ينادي: صدق الله وكذب الشاعر.

وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلِمَ من لا يجد عليّ ناصرًا إلا الله.

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته. فكتب إليه: حصنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم.

---

(١) حلق على اسمي، أي جُعِل داخل حلقة من المداد، وكان يفعل ذلك بكل اسم يراد حبس العطاء عن صاحبه. وهو بمنزلة الضرب على المكتوب في أيامنا.

(٢) سورة يوسف الآيتان ٧٨-٧٩.

وقال المهدي للربيع بن أبي الجهم، وهو والي أرض فارس: ياربيع، آثر الحق، والزم القصد، وابسط العدل، وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأظلمهم من ظلم الناس لغيره.

وقال النبي ﷺ: «**الظُّلم ظُلمات يوم القيامة**»[١].

صلاح الرعية بصلاح الإمام

قالت الحكماء: الناس تَبَعٌ لإمامهم في الخير والشرّ.

وقال أبو حازم الأعرج: الإمام سوق، فما نفق عنده جُلب إليه.

ولما أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه، قال: إن الذي أدى هذا لأمين! قال له رجل: ياأمير المؤمنين، أنت أمين الله يؤدون إليك ماأديت إلى الله تعالى، فإذا رتعت رتعُوا[٢].

ومن أمثالهم في هذا قولهُم: إذا صلحت العين صلحت سواقيها.

الأصمعيّ قال: كان يُقال: صِنفان إذا صلحا صلح الناس: الأمراء، والفقهاء[٣].

واطَّلع مروان بن الحكم على ضيعة له بالغُوطة[٤] فأنكر شيئاً، فقال لوكيله: ويحك! إني لأظنُّك تخونُني. قال: أفتظن ذلك ولا تستيقنه؟ قال: وتفعله؟ قال: نعم، والله إني لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن أمير المؤمنين ليخون الله، فلعن الله شرَّ الثلاثة.

---

(١) متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر ابن قتيبة/عيون الأخبار جـ١ ص١١٥، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (تخريج الإحياء جـ١ ص١٧) وحكم عليه الألباني بالوضع.

(٤) الغوطة كورة منها دمشق.

قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه

قالت الحكماء: لاينفع الملك إلا بوزرائه وأعوانه، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا مع الرأي والعفاف. ثم على الملوك بعد ذلك ألاَّ يتركوا محسنًا ولا مسيئاً مادون جزاء؛ فإنهم إذا تركوا ذلك تهاون المحسن، واجترأ المسيء، وفسد الأمر، وبطل العمل.

وقال الأحنف بن قيس. من فسدت بطانته كان كمن غَص بالماء، ومن غص بالماء فلا مساغ له، ومن خانه ثقاته فقد أُتي من مأمنه.

وقال العباس بنُ الأحنف:

قَلبي إلى ما ضرَّني داعي ... يُكثِر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عَدوّي إذَا ... كان عدوّي بين أضلاعي!

وقال آخر:

كنتُ من كُربتي أفرُّ إليهم ... فهمُ كربتي فأين الفِرارُ؟!

وأول من سبق إلى هذا المعنى عدي بن زيد في قوله للنعمان بن المنذر:

لو بغير الماء حلقي شرقٌ ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري[1]

وقال آخر:

إلى الماء يسعى من يَغصُّ بريقهِ ... فقُل أين يسعى من يغصّ بماء؟!

وقال عمرو بن العاص: لا سُلطان إلا بالرجال ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

وقالوا: إنما السلطانُ بأصحابه كالبحر بأمواجه.

وقالوا: ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول، ولا يحسن الفِعل. ولا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدق إلا مع

---

(١) الاعتصار: إزالة الغصة بالماء قليلاً قليلاً.

الوفاء، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع حسن النية، ولا في الحياة إلا مع الصحة.

وقالوا: إنَّ السلطان إذا كان صالحاً ووزراؤه وزراءَ سوء امتنع خيره من الناس، ولم يُنتفع منه بمنفعة، وشَبَّهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التمساح، فلا يستطيع أحد أن يدخله، وإن كان محتاجاً إليه!

صفة الإمام العادل

كتب عُمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمّا وَلى الخلافة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله: اعلم ياأمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقُوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العدل ياأمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويزودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع، ويكنُّها من أذى الحر والقر. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارًا، ويُعلمهم كبارًا؛ يكتسب لهم في حياته، ويدّخر لهم بعد مماته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأُم الشفيقة البرَّة الرفيقة بولدها، حَملته كُرهاً، ووضعته كرهاً، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته. والإمام العدل ياأمير المؤمنين وَصيُّ اليتامى، وخازن المساكين، يُربي صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العدل ياأمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده والإمام العدل ياأمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما ملَّكك الله عز وجل كعبد أئتمنه سيّده، واستحفظه ماله وعيالَه، فبدَّد المال وشرَّد العيال، فأفقر أهله وفرَّق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحُدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش،

فكيف إذا أتاها من يليها! وأنّ الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم! واذكر ياأمير المؤمنين الموتَ وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم ياأمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويُفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريدًا وحيدًا. فتزود له ما يصحبك ﴿**يوم يفر المرءُ من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه**﴾[1]. واذكر ياأمير المؤمنين: ﴿**إذا بُعثر ما في القبور. وحُصِّل ما في الصدور**﴾[2]، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن ياأمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل. لا تحكم ياأمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلِّط المستكبرين على المُستضعفين؛ فإنَّهم لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولاذمةً، فتبوءَ بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك. ولا يغُرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسُك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. ولاتنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم. إني ياأمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النُهىٰ من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحًا، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

هيبة الإمام في تواضعه

قال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أكبر من شرفك وقال عبد الملك بن مروان: إن أفضل الرجال مَنْ تواضع عن رفعةٍ، وزهد عن قدرةٍ، وأنصف عن قوةٍ.

---

(١) سورة عبس الآيات ٣٤-٣٧.
(٢) سورة العاديات الآيتان ٩، ١٠.

وقال ابن قتيبة: لم يُقل في الهيبة مع التواضع بيت أبدع من قول الشاعر[١] في بعض خلفاء بني أمية:

يُغضي حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتَسِمُ

وأحسن منه عندي قول الآخر:

فتى زادَه عِزُّ المهابة ذِلةً ... فكُلُّ عزيزٍ عنده مُتواضع

وقال أبو العتاهية:

يا مَن تشَرَّف بالدنيا وطينتها ... ليس التشرُّف رفعَ الطِّين بالطين
إذا أردت شريفَ النَّاسِ كلِّهم ... فانظر إلى مَلكٍ في زيِّ مسكين
ذاك الذي عَظُمت في الله نعمتُه ... وذلك يصلُح للدُّنيا وللدين

وقال الحسن بن هانىء في هيبة السطان مع محبّة الرعية:

إمامٌ عليه هيبة ومحبّة ... ألا حبّذا ذاك المَهيب المُحبّبُ

وقال أشجع بن عمرو في هَيبة السلطان:

مَنعت مهابتُك النفوسَ حديثهَا ... بالشيِّءِ تكرهه وإن لم تَعلَمِ
ومِن الولاة مُفخَّم لا يُتَّقى ... والسيفُ تقطرُ شفرتاه من الدم

وقال أيضا لهارون الرشيد:

وعلى عَدوِّك يابن عم محمد ... رَصَدان: ضوءُ الصبح والإظلامُ
فإذا تنبَّه رُعْتَه وإذا غفا ... سَلَّت عليه سيوفك الأحلام

ومن قولنا في الهَيبة:

يا مَن يُجرد من بصيرته ... تحت الحوادث صارم العَزمِ
رُعتَ العدوَّ فما مَثلتَ له ... إلا تفَزَّع منك في الحُلم
أضحى لك التدبيرُ مُطردا ... مِثل اطِّراد الفعل للإسم
رفعَ الحسودُ إليك ناظرَه ... فرآك مُطَّلعا مع النجم

أبو حاتم سهل بن محمد، قال: أنشدني العُتبي للأخطل في معاوية:

---

(١) الشاعر، هو الفرزدق.

تسْمو العُيون إلى إمام عادلٍ مُعطي المهابة نافعٍ ضرَّار
وترى عليه إذا العُيون لمحنه سِيما الحليم وهيبة الجبَّار

حسن السيرة والرفق بالرعية

قال الله تعالى لنبيه محمد ـ ﷺ ـ فيما أوصاه به من الرفق بالرعية: ﴿**ولو كُنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾(١).

وقال النبي ﷺ: «**من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من الخير كله، ومن حُرم حَظَّه من الرفق فقد حُرِم حَظَّه من الخير كله**»(٢).

ولما استُخلِف عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب، فقال لهما: أشيرا عليَّ. فقال له سالم: اجعل الناس أبا وأخا وابنًا، فبِر أباك، واحفظ أخاك، وارحم ابنك. وقال له محمد بن كعب: أحبب للناس ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، واعلم أنك لستَ أوَّل خليفة يموت.

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبت؛ مالك لا تَنفُذُ في الأمور؟ فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور. فقال له عمر: لا تعجل يابُني، فإن الله تعالى ذمَّ الخمر في القرآن مرَّتين وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمِل الناس على الحق جملة فيدعوه وتكون فتنة.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: أما بعد، فإن أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للرعية عندك.

وقال المنصور لولده عبد الله المهدي: لا تُبرم أمرًا حتى تفكر فيه، فإن فكرة العاقل مرآة تريه حسناته وسيآته. واعلم أن الخليفة لا تُصلحه إلا التقوى، والسلطان لا تُصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل. وأولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة، وأنقص عقلا من ظلم من هو دونه.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد والترمذي عن أبي الدرداء، دون ذكر كله بعد الخير. انظر الصحيحة [٥١٩] و[٨٧٤].

وقال خالد بن عبد الله القَسري لبلال بن أبي بردة: لا يحملنّك فضل المقدرة على شدة السطوة، ولا تطلب من رعيتك إلا ما تبذُله لها، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وقال أبو عُبيد الله كاتبُ المهدي: ما أحوج ذا القُدرة والسلطان إلى دين يَحجُزه وحياء يكفه، وعقل يعقله، وإلى تجربة طويلة، وعين حفيظة؛ وأعراق تسرى إليه، وأخلاق تسهل الأمور عليه؛ وإلى جليس شفيق، وصاحب رفيق؛ وإلى عين تُبصر العواقب وقلب يخاف الغِيَر؛ ومن لم يعرف لؤم الكِبر لم يسلم من فلتات اللسان، ولم يتعاظم ذنباً وإن عظم، ولا ثناء وإن سمح.

ولما انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام استعمل عبد العزيز ابنه على مصر، وقال له حين ودَّعه: أرسل حَكيماً ولا تُوصه. أي بُني، انظر إلى عُمالك، فإن كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخره إلى عشية، وإن كان لهم عشية فلا تؤخره إلى غدوة، وأعطهم حقوقهم عند محلها، تستوجب بذلك الطاعة منهم. وإياك أن يظهر لرعيتك منك كذب فإنهم إن ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك وأهل العلم، فإن لم يستبن لك فاكتب إليَّ يأتِك رأيي فيه إن شاء الله تعالى. وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب منطفيء الجمرة؛ فإن أوّل من جعل السجن كان حليماً ذا أناة. ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة، فليكونوا أصحابك وجُلساءك، ثم اعرف منازلهم منك على غير استرسال ولا انقباض. أقول هذا واستخلف الله عليك.

أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن مُجالد عن الشعبي، قال: قال زياد: ما غَلبني أمير المؤمنين معاوية في شيء من السياسة إلا مرة واحدة، استعملت رجلا فكسَر خراجَه، فَخشى أن أعاقبه ففر إليه واستجار به فأمَّنه. فكتبتُ إليه: إن هذا أدب سوَّأ مَنْ قِبَلي. فكتب إليَّ: إنه لا ينبغي أن نسوس الناس سياسة واحدة، لا نلين جميعاً فتمرح الناس في المعصية، ولا نشتد جميعاً فنحمل الناس على المهالك ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة.

ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم

قالت الحكماء: أحزمُ الملوك من قهر جِدُّه هزله، وغلب رأيُه هواه، وجعل له الفكر صاحبًا يُحسن له العواقب، وأعرب عن ضميره فِعله ولم يخدعه رضاه عن سخطه، ولا غضبه عن كيده.

وقال عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ـ وكان ولي عهده: يابني، اعلم أنه ليس بين السلطان وبين أن يملك الرعية أو تملكه الرعية إلا حزم أو توانٍ.

وقالوا: لا ينبغي للعاقل أن يستصغر شيئاً من الخطأ أو الزَّلل، فإنه متى ما استصغر الصغير يوشك أن يقع في الكبير؛ فقد رأينا الملوك تؤتَى من العدو المُحتقر، ورأينا الصحة تؤتى من الدّاء اليسير، ورأينا الأنهار تتدفق من الجداول الصغار.

وقالوا: لا يكون الذم من الرعية لراعيها إلا لإحدى ثلاث: كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغناً، أو لئيم بُلغ به إلى ما لا يستحق فأورثه ذلك بَطراً، أو رجل منع حظه من الإنصاف فشكا تفريطاً.

وقيل لَملك سُلب ملكه: مالذي سَلبك مُلكك؟ فقال: دفع شغل اليوم إلى غد، والتماس عدة بتضييع عدد، واستكفاء كل مخدوع عن عقله. والمخدوع عن عقله من بلغ قدرًا لايستحقه، أو أثيب ثواباً لا يستوجبه.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: انتهزوا هذه الفرص فإنها تمرُّ مر السحاب، ولا تطلبوا أثرًا بعد عين.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحزم الخلفاء. وكانت عائشة رضي الله عنها إذا ذُكر عمر قالت: كان والله أحوزياً[1] نسيج وحدهِ، قد أعد للأمور أقرانها[2].

وقال المغيرة بن شعبة: مارأيت أحداً هو أحزم من عمر، كان والله له فضل يمنعه أن يَخْدَع، وعقل يمنعه أن يُخْدَع.

---

(١) الأحوزي: الحسن السياق للأمور.

(٢) أقرانها، أي أكفاءها.

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ لست بِخَبٍّ والخبّ لا يخدعني.

مر عمر ـ رضي الله عنه ـ ببنيان يبنى بآجر وجص فقال: لمن هذا؟ قيل: لعاملك على البحرين. فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها. فأرسل إليه فشاطره ماله.

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقال له: المُستجاب، لقول النبي ﷺ: اتقوا دعوة سعد[١]. فلما شاطره عمر ماله، قال له سعد: لقد هممتُ. قال له عمر: بأن تدعو عليَّ؟ قال: نعم. قال: إذاً لا تجدني بدعاء ربي شقيًّا.

وهجا رجل من الشعراء سعد بن أبي وقاص يوم القادسية، فقال سعد: اللهم اكفني يده ولسانه، فقطعت يدُه وبكم لسانه[٢].

ولما عزل عمر أبا موسى الأشعري عن البصرة وشاطره ماله، وعزل أبا هريرة عن البحرين وشاطره ماله، وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله، دعا أبا موسى فقال له: ما جاريتان بلغني أنهما عندك، إحداهما عقيلة، والآخرى من بنات الملوك؟ قال: أما عقيلة فإنها جارية بيني وبين الناس، وأما التي هي من بنات الملوك فإني أردت بها غلاء الفداء. قال: فما جفنتان تعملان عندك؟ قال: رزقتني شاة في كل يوم، فيعمل نِصفها غدوة ونصفها عشية. قال: فما مكيالان بلغني أنهما عندك؟ قال: أما أحدهما فأوفي به أهلي وديني، وأما الآخر فيتعامل الناس به. فقال: ادفع إلينا عقيلة، والله إنك لمؤمن لاتَغُلّ[٣]، أو فاجر مُبِلّ[٤]، ارجع إلى عملك عاقِصاً بقرنك، مكتسعا بذنبك[٥]. والله إن بلغني عنك أمر لم أُعِذْك.

---

(١) في سنن الترمذي (٣٧٥١) بسند صحيح «اللهم استجب له إذا دعاك» يعني سعداً.

(٢) انظر: ابن كثير البداية والنهاية، المجلد الرابع جـ٧، ص٤٥، ٤٦، دار الريان للتراث مصر ١٤٠٨هـ.

(٣) ولا تغل: ولا تخون.

(٤) يريد بالمبل (هنا): الغالب بحجته، أو المعيي خبثا، يقال: أبل عليه، إذا غلبه وأبل، إذا أعيا خبثا.

(٥) عاقصا بقرنك، أي: عاقدا إياه ولاويا به. والقرن، من الشعر معروف. والاكتساح بالذنب في الخيل والكلاب، هو أن تدخل أذنابها بين أرجلها. ولعله كنى بهاتين العبارتين عن معنى الذلة والمهانة.

ثم دعا أبا هريرة فقال له: هل علمت من حين أني استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار؟ قال: كانت لنا أفراس تناتجت، وعطايا تلاحقت. قال: قد حسبتُ لك رزقك ومؤونتك وهذا فضل فأده. قال: ليس لك ذلك. قال: بلى والله وأوجع ظهرك. ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه، ثم قال: ائتِ بها. قال: احتسبتُها عند الله. قال: ذلك لو أخذتَها من حلال وأديتَها طائعا. أجئتَ من أقصى حجر بالبحرين يُجْبِي الناس لك لا لله ولا للمسلمين! ما رجعت[1] بك أميمة إلا لرعية الحُمر. وأميمة أمّ أبي هريرة[2].

وفي حديث أبي هريرة، قال: لما عزلني عُمر عن البحرين قال لي: ياعدو الله وعدو كتابه، سرقت مال الله؟ قال: فقلت: ما أنا عدو الله ولا عدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما، ماسرقتُ مال الله. قال: فمن أين لك عشرة آلاف؟ قلت: خيل تناتجت، وعطايا تلاحقت، وسهام تتابعت. [فنظروا، فوجدوه كما قال][3] فلما صلّيت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين. فقال لي بعد ذلك: ألا تعمل؟ قلت: لا. قال: قد عمل من هو خير منك، يوسفُ صلوات الله عليه. قلت: إنّ يوسف نبيّ وابن نبيّ وأنا ابن أميمة، أخشى أن يُشتم عرضي ويُضرب ظهري ويُنزع مالي[4].

قال: ثم دعا الحارث بن كعب بن وهب فقال: ما قِلاصُ وأعبد بعتها بمائتي دينار؟ قال: خرجت بنفقة معي فتجرتُ فيها. فقال: أما والله ما بعثناكم لتتجروا في

---

(١) مارجعت بك، أي ما ولدتك.

(٢) أورد السيوطي أن عمر رضي الله عنه شاطر عماله أموالهم؛ انظر: تاريخ الخلفاء، ص١٥٧.

(٣) الزيادة في سير أعلام النبلاء.

(٤) انظر ابن حجر/ الإصابة جـ٧ ص٢٠٦ مع بعض الاختلاف دون ذكر «ياعدو الله وعدو كتابه»، وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط، جـ٢، ص٦١٢ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٢هـ، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات، وذكر ابن كثير رحمه الله من: «ودعاه عمر ليوليه» إلى «ويشتم عرضي»، انظر البداية والنهاية جـ٨ ص١١٤، كما أورد ذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار، جـ١ ص١١٦، دار الكتب العلمية/بيروت.

أموال المسلمين! أدّها. فقال: أما والله لا عملتُ عملاً بعدها أبدا. قال: انتظر حتى استعملك.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص، وكان عامله على مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، سلام عليك، أما بعد، فإنه بلغني أنك فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد. وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك، فاكتب إليَّ من أين أصل هذا المال ولا تكتُمه؟

فكتب إليه: من عمرو بن العاص إلى عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين. سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد. فإني أتاني كتابُ أمير المؤمنين يذكر فيه ما فَشا لي، وأنه يعرفني قبل ذلك ولا مال لي. وإني أعلم أمير المؤمنين أني ببلد السِّعر به رخيص، وأني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالجه أهله، وليس في رزق أمير المؤمنين سعة. وبالله لو رأيت خيانتك حلالاً ما خنتك، فأقصر أيها الرجل، فإنّ لنا أحسابًا هي خير من العمل لك، إن رجعنا إليها عشنا بها. ولعمري إن عندك من لا يَذم معيشته ولا تُذَمُّ له. وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني، فأنّي كان ذلك ولم نفتح قفلك، ولم نشركك في عملك.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطِّر، ونسقك الكلام في غير مرجع! وما يغني عنك أن تزكّي نفسَك، وقد بعثتُ إليك محمد بن مسلمة فشاطره مالك. فإنكم أيها الرهط الأمراء جلستم على عيون المال ثم لم يُعوزكم عُذر، تجمعون لأبنائكم، وتمهدون لأنفسكم، أما إنكم تجمعون العار، وتورثون النار، والسلام.

فلما قدم عليه محمد بن مسلمة صنع له عمرو طعاماً كثيرًا. فأبى محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئاً. فقال له عمرو: أتحرمون طعامنا؟ فقال: لو قدمت إليَّ طعام الضيف أكلتُه، ولكنك قدمت إليَّ طعام هو تقدمة شر. والله لا أشرب عندك الماء، فاكتُب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه. فشاطره ماله بأجمعه، حتى بقيت نعلاه. فأخذ إحداهما وترك الأخرى. فغضب عمرو بن العاص فقال: يا محمد بن مسلمة

قبَّح الله زماناً عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامِل. والله إني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حُزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها، وما منهما إلا في نمرة[١] لا تبلغ رسغيه، والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزوراً بالذهب والفضة. قال له محمد بن مسلمة: اسكُت، والله عمر خير منك، وأما أبوك وأبوه ففي النار. والله لولا الزمان الذي سبقك فيه لألفِيت مُقتعد شاة يسرك غزرها ويسوءك بَكؤها[٢]. فقال عمرو: هي عندك بأمانة الله. فلم يخبر بها عمر.

ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه قال: بَعث معاوية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على الشام بمال وأدهم، وكتب إلى أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عُمر ـ يعني بالأدهم القيد ـ وكتب إلى عمر يقول: إني وجدت في حصون الروم جماعة من أسارى المسلمين مقيدين بقيود حديد، أنفذت منها هذا ليراه أمير المؤمنين ـ وكانت العرب قبل ذلك تقيد بالقيد. قال الفرزدق: أو لجدل الأداهم ـ فخرج الرسول حتى قدم على سفيان بالمال والأدهم قال: فذهب أبو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عُمر واحتبس المال لنفسه. فلما قرأ عمرُ الكتاب، قال له: فأين المال ياأبا سفيان؟ قال: كان علينا دين ومعونة، ولنا في بيت المال حق، فإذا أخرجت لنا شيئاً قاصصتَنا به. فقال عمر: اطرحوه في الأدهم حتى يأتي بالمال. قال: فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال. فأمر عمرُ بإطلاقه من الأدهم. فلما قدم الرسول على معاوية، قال له: رأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم؟ قال: نعم، وطرح فيه أباك. قال: ولِم؟ قال: جاءه بالأدهم وحبس المال؛ قال: إي والله، والخطاب لو كان لطرحه فيه.

زار أبو سفيان معاويةَ بالشام، فلما رجع من عنده دخل على عمر. فقال: أجزنا أبا سفيان. قال: ما أصبنا شيئاً فنجيزك منه. فأخذ عمر خاتمه، فبعث به إلى هند، وقال للرسول: قل لها: يقول لك أبو سفيان: انظري إلى الخرجين اللذين جئتُ بهما فأحضريهما. فما لبث عمر أن أُتي بخرجين فيهما عشر آلاف دِرهم. فطرحهما عمر في

---

(١) النمر «بفتح ثم كسر»: بردة من صوف تلبسها الأعراب.

(٢) بكؤها: أي قلة لبنها.

بيت المال. فلما وَلي عثمان ردهما عليه. فقال أبو سفيان: ماكنت لأخذ مالاً عابه عليّ عمر.

ولما ولَّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عتبة بن أبي سفيان الطائف وصدقاتها ثم عزله، وتلقاه في بعض الطريق، فوجد معه ثلاثين ألفـاً، فقال: أنى لك هذا؟ قال: والله ما هو لك ولا للمسلمين، ولكنه مال خرجت به لضيعة أشتريها. فقال عمر: عامِلُنا وجدنا معه مالا؟ ما سبيله إلا بيت المال، ورفعه! فلما وَلي عثمان قال لعتبة: هل لك في هذا المال فإني لم أر لأخذ ابن الخطاب فيه وجهـا؟ قال: والله إن بنا إليه لحاجة، ولكن لاترد على من قبلك فيرد عليك من بعدك.

القحذمي قال: ضرب عمر رجلاً بالدُّرة فنادى: يالقَصيٍّ. فقال أبو سفيان: يابن أخي، لو قبـل اليوم تُنـادى قصيّا لأتتك منها الغطاريف. فقال له عمر: اسكت لاأبا لك. قال أبو سفيان: ها، ووضع سبابته على فِيه.

خَليفة بن خياط قال: كتب يزيد بن الوليد، المعروف بالناقص ـ وإنما قيل له الناقص لفرط كماله ـ إلى مروان بن محمد ـ وبلغه عنه تلكؤ في بيعته ـ: أما بعد، فإني أراك تقـدِّم رِجـلا وتؤخِّـر أخـرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام. فأتته بيعته.

وكتب عبد الله بن طاهر الخراساني إلى الحسن بن عمر التغلبي: أما بعد، فقد بلغني ما كان من قطع الفسقة الطريق ما بلغ، فلا الطريق تحمى، ولا اللصوص تكفى، ولا الرعية ترضى، وتطمع بعد هذا في الزيارة! إنك لَمُنفسح الأمل! وأيم الله لتكفيني من قبلك أو لأوجهن إليك رجالا لا تعرف مُرَّة من جهم، ولا عدي من رهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبلغ الحجاج أن قومًا من الأعراب يفسدون الطريق، فكتب إليهم: أما بعد فإنكم قد استخفتكم الفتنة، فلا عن حق تقاتلون، ولا عن منكر تنهون، وإني أُهُمّ أن ترد عليكم مني خيل تنسف الطارف والتالد، وتدع النساءَ أيامى، والأبناءَ يتامى، والديارَ خرابًا.

فلما أتاهم كتابه كفوا عن الطريق.

التعرض للسلطان والرد عليه

قالت الحكماء: من تعرّض للسلطان أرداه، ومن تطامن له تخطاه، وشبهّوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضر بما لان لها من الشجر ومال معها من الحشيش، وما استهدف لها من الدواح العظام قصفته. قال الشاعر:

إنّ الرياح إذا ما أعصفت قصفت ... عيدان نبع ولا يعبأنَ بالرَّتَم

وقال حبيب بن أوس ـ وهو أحسن ما قيل في السلطان:

هو السيل إن واجهته انقدت طوعه ... وتقتاده من جانبيه فيتبع

وقال آخر:

هو السيف إن لاينته لان متنه ... وحَدَّاهُ إن خاشنته خَشنانِ

وقال معاوية لأبي الجَهم العَدوي: ياأبا الجهم، إياك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبيّ، ويأخذ أخذ الأسد.

وأبو الجهم هذا هو القائل في معاوية بن أبي سفيان:

ونغضبه لنخبر حالتيه ... فنخبر منهما كرما ولينا
نميل على جوانبه كأنّا ... نميل إذا نميل على أبينا

وقَدِم عُقيبة الأسدي على معاوية، ورفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات:

مُعاوي إننا بشر فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتموها ... فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع بالخلود إذا هلكنا ... وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا أمة هلحت ضياعاً ... يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعا به معاويةُ، فقال: ما جَرَّأك عليَّ؟ قال: نصحتُك إذ غشوك، وصدقتك إذا كذبوك. فقال: ما أظنك إلا صادقًا، وقضى حوائجه.

ومن حديث زياد عن مالك بن أنس قال: خطب أبو جعفر المنصور، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس اتقوا الله فقام إليه رجل من عُرض الناس،

فقال: أذكِّرك الله الذي ذكرتنا به ياأمير المؤمنين. فأجابه أبو جعفر بلا فِكرة ولا روية: سمعاً وطاعة لمن ذكر بالله، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم، فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين وأما أنت، فوالله ما الله أردت بها، ولكن ليقال: قال فعوقب فصبر، وأهون بها لو كانت، وأنا أحذركم أيها الناس أختها، فإن الموعظة علينا نزلت، ومنا أخذت. ثم رجع إلى موضعه من الخطبة.

وقام رجل إلى هارون الرشيد، وهو يخطب بمكة، فقال: ﴿**كَبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾[1]. فأمر به فضرب مائة سوط. فكان يئن الليل كله ويقول: الموت! الموت! فأخبر هارون الرشيد أنه رجل صالح، فأرسل إليه فاستحله، فأحله.

وخاطر رجل إلى أن يقوم إلى عمرو بن العاص وهو في الخطبة فيقول أيها الأمير من أمك؟ ففعل. فقال له: النابغة بنت عبد الله، أصابتها رِماح العرب، فبيعت بعُكاظ، فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل، فولدت فأنجبت، فإن كانوا جعلوا لك شيئًا فخذه[2].

تحلم السلطان على أهل الدين والفضل إذا اجترءوا عليه

زياد عن مالك بن أنس قال: بعث أبو جعفر المنصور إليّ وإلى ابن طاوس، فأتيناه فدخلنا عليه، فإذا هو جالس على فُرُش قد نضدت، وبين يديه أنطاع قد بُسطت، وجلاوزة[3] بأيديهم السيوف يضربون الأعناق. فأومأ إلينا: أن اجلسا. فجلسنا. فأطرق عنّا طويلا، ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس، فقال له: حدثني عن أبيك. قال: نعم، سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشدّ الناس عذاباً**

---

(١) سورة الصف آية ٣.

(٢) انظر ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٣ ص١١٨٤، وص١١٨٥؛ تحقيق: محمد البجاوي ـ مطبعة نهضة مصر.

(٣) الجلاوزة: جمع جلواز [بكسر الجيم] وهو الشرطي.

يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله»(١). فأمسك ساعة، قال مالك: فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه. ثم التفت إليه أبو جعفر فقال: عظني يابن طاوس. قال: نعم ياأمير المؤمنين، إن الله تعالى يقول: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد. الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد﴾(٢). قال مالك: فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه. فأمسك ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه. ثم قال: يابن طاوس، ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه. ثم قال: ناولني هذه الدواة: فأمسك عنه. فقال: ما يمنعك أن تُناولنيها؟ قال: أخشى أن تكتب بها معصية الله فأكون شريكك فيها. فلما سمع ذلك قال: قوما عني قال ابنُ طاوس: ذلك ما كنّا نبغي منذ اليوم.

قال مالك: فمازلت أعرف لابن طاوس فضله.

فرج بن سلّام عن أبي حاتم عن الأصمعي، قال: حدثني رجل من أهل المدينة،

---

(١) سند هذا الحديث ظاهره الإرسال فطاوس هو ابن كيسان تابعي وليس صحابي. ويغني عنه ما رواه مسلم عن معقل بن يسار المزني: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» وفي رواية: «**ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة**». وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه. ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**».

وروى مسلم أن عائذ بن عمرو وكان في أصحاب رسول الله ﷺ دخل على عبيد الله بن زياد فقال: أي بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن شر الرعاء الحطمة فإياك أن تكون منهم**».

والحطمة: هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار. يلقي بعضها على بعض ويعسفها. ضربه مثلاً لوالي السوء ويقال أيضا: حطم بلا هاء. انظر: صحيح مسلم ـ كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، جـ٣ وقف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) سورة الفجر: الآيات ٦ـ١٤.

obeikandl.com

كان ينزل بشق[١] بني زريق، قال: سمعت محمدًا بن إبراهيم يحدث قال:

سمعت أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين بالمدينة ليسوا من قريش، فقالوا لأبي جعفر: اجعل بيننا وبينه ابن أبي ذئب. فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب: ما تقول في بني فلان؟ قال أشرار من أهل بيت أشرار. قالوا: اسأله ياأمير المؤمنين عن الحسن بن زيد ـ وكان عامله على المدينة ـ قال: ما تقول في الحسن بن زيد؟ قال: يأخذ بالإحنة، ويقضي بالهوى. فقال الحسن: ياأمير المؤمنين، والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو وصفك بشر. قال: ما تقول فيّ؟ قال: اعفني. قال: لابد أن تقول. قال: لا تعدِل في الرعية، ولا تقسم بالسوية. قال: فتغير وجه أبي جعفر. فقال إبراهيم بن يحيى بن محمد بن عليّ صاحب الموصل: طهرني بدمه ياأمير المؤمنين. قال: اقعد يابُني، فليس في دم رجل يشهد أن لاإله إلا الله طهُور. قال: ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام، فقال: ياأمير المؤمنين، دعنا مما نحن فيه، بلغني أن لك ابنًا صالحا بالعراق، يعني المهدي. قال: أما أنك قلت ذلك، إنه الصوَّام القوَّام البعيد ما بين الطرفين[٢]. قال ثم قام ابن أبي ذئب فخرج. فقال أبو جعفر: أما والله ما هو بمستوثق العقل، ولقد قال بذات نفسه.

قال الأصمعي: ابن أبي ذئب، من بني عامر بن لؤي، من أنفُسهم.

وأرسل أبو جعفر إلى سفيان الثوري، فلما دخل عليه قال: عظني أبا عبد الله قال: وما عملتَ ياأمير المؤمنين فيما علمت فأعظك فيما جهلت؟ فما وجد له المنصور جوابا.

ودخل أبو النضر سالم[٣] مولى عمر بن عبد الله على عامل للخليفة فقال له: أبا النضر، إنا تأتينا كُتب من عند الخليفة فيها وفيها، ولا نجد بدا من إنفاذها، فما

(١) الشق: الناحية. وبنو زريق: من الأنصار.

(٢) البعيد ما بين الطرفين: كناية عن شرف النسب وكثرة ما له من الآباء الأشراف.

(٣) هو سالم بن أبي أمية التيمي، ويكنى أبا النضر، مات في خلافة مروان بن محمد، وقيل سنة تسع وعشرين ومائة.

ترى؟ قال له أبو النضر: قد أتاك كتاب من الله تعالى قبل كتاب الخليفة، فأيَّهما اتبعت كنت من أهله.

ونظير هذا القول ما رواه الأعمش عن الشعبي: أن زياداً كتب إلى الحكم بن عمرو الغِفاري، وكان على الصائفة[1]: إن أمير المؤمنين معاوية كتب إليَّ يأمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء، فلا تقسم بين الناس ذهبًا ولا فضة واقسم ما سوى ذلك. فكتب إليه: إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله لجعل له منهما مخرجا. ثم نادى في الناس، فقسَّم فيهم ما اجتمع له من الفَيء.

ومثله قولُ الحسن حين أرسل إليه ابن هبيرة وإلى الشعبي، فقال له: ماترى أبا سعيد[2] في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فإن أنفذتها وافقت سخط الله، وإن لم أنفذها خشيت على دمي؟ فقال له الحسن: هذا عندك الشعبي فقيه أهل الحجاز. فسأله، فرقَّق له الشعبي وقال له: قارب وسَدد، فإنما أنت عبد مأمور. ثم التفت ابنُ هبيرة إلى الحسن وقال: ماتقول ياأبا سعيد؟ فقال الحسن: ياابن هبيرة، خَفِ الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله. ياابن هُبيرة، إن الله مانعُك من يزيد وإن يزيد لايمنعك من الله. ياابن هُبيرة، لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، فانظر ما كتب إليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى، فما وافق كتاب الله تعالى فأنفِذه، وما خالف كتابَ الله فلا تنفِذه، فإن الله أولى بك من يزيد، وكتاب الله أولى بك من كتابه. فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن وقال: هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة. وأمر للحسن بأربعة آلاف دِرهم، وأمر للشعبي بألفين. فقال الشعبي: رققنا فَرُقّقَ لنا. فأما الحسن فأرسل إلى المساكين، فلما اجتمعوا فَرقها. وأما الشعبي فإنه قبلها وشكر عليها.

ونظير هذا قول الأحنف بن قيس لمعاوية حين شاوره في استخلاف يزيد، فسكت

---

(١) الصائفة: الغزاة في زمن الصيف.

(٢) أبو سعيد: كنية الحسن البصري.

عنه. فقال: مالك لاتقول؟ فقال: إن صدقناك أسخطناك، وإن كذبناك أسخطنا الله، فسُخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله. فقال له: صدقت.

وكتب أبو الدرداء إلى معاوية، أما بعد: فإنه من يلتمس رضا الله بسُخط الناس كفاه الله مؤونةَ الناس، ومن التمس رِضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس.

وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى معاوية: أما بعد، فإنه من يعمل بمساخط الله يَصِر حامده من الناس ذاما له، والسلام.

أبو الحسن المدائني قال: خرج الزهري يوما من عند هِشام فقال: مارأيت مثل أربع كلمات تكلم بها اليوم إنسان عند هشام. قيل له: وما هن؟ قال: دخل رجل على هشام فقال: ياأمير المؤمنين، احفظ عنِّي أربع كلمات فيهن صلاح ملكك، واستقامة رعيتك فقال هاتِهن. فقال: لا تَعدن عِدة لا تثق من نفسك بإنجازها. قال: هذه واحدة فهات الثانية. قال: لا يغرنك المرتقى وإن كان سهلاً إذا كان المُنحدر وعراً. قال: هات الثالثة. قال: إن للأعمال جزاءً فاتق العواقب. قال هات الرابعة. قال: واعلم أن للأمور بغتات فكن على حذر.

دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك، فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدًا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات. قال: باطل ياأمير المؤمنين، أنبيٌّ خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قال: بل نبي خليفة. قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام: ﴿**ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله. إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**﴾[1]. فهذا وعيد ياأمير المؤمنين لنبي خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال: إن الناس ليغووننا عن ديننا.

---

(١) سورة ص آية ٢٦.

المشورة

قال النبي ﷺ: «**ماندم من استشار، ولا خاب من استخار**»(١). وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام بمشاوَرة من هو دونه في الرأي والحزم، فقال: ﴿**وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾(٢).

ولما همّت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي ﷺ استشاروا عُثمان بن أبي العاص، وكان مُطاعاً فيهم، فقال لهم: لا تكونوا آخر العرب إسلاماً، وأولهم ارتدادًا. فنفعهم الله برأيه.

وسُئل بعض الحُكماء: أي الأمور أشد تأييدًا للفتى وأيها أشد إضرارًا به؟ فقال: أشدها تأييدًا له ثلاثة أشياء: مُشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت. وأشدها إضرارًا به ثلاثة أشياء: الاستبداد والتهاون والعجلة.

وأشار حكيم على حكيم برأي فقبله منه. فقال له: لقد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمره، وسهله بوعره، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره(١). وقد وعيت النصح وقبلته، إذ كان مصدره من عند من لا يشك في مودته وصفاء غيبه، ونصح جيبه؛ ومازلت بحمد الله إلى الخير طريقاً واضحاً، ومنارًا بيِّنًا.

وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول: إياكم والرأي الفطير وكان يستعيذ بالله من الرأي الدبري.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.

وأوصى ابن هبيرة ولده فقال: لاتكن أول مشير، وإياك والهوى والرأي الفطير؛ ولا تُشيرنَّ على مُستبد ولا على وَغد ولا على مُتلون ولا لجوج وخَفِ الله في موافقة هوى

---

(١) رواه الطبراني في الصغير ومن طريقه القضاعي من حديث عبد القدوس بن حبيب عن الحسن عن أنس مرفوعاً بلفظ: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد» انظر المقاصد الحسنة [٩٥٤] وقال الحوت: سنده واه فيه عبد القدوس ابن حبيب تفرد به وهو ضعيف جداً. انظر أسنى المطالب [١٢٥٤] وقال الألباني موضوع، انظر الضعيفة [٦١١] وضعيف الجامع [٥٠٥٦].

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩.

المستشير؛ فإن التماس موافقته لؤم، وسُوء الاستماع منه خيانة.

وكان عامر بن الظرب حاكم العرب يقول: دعوا الرأي يغب[1] حتى يختمر، وإياكم والرأي الفطير. يريد الأناة في الرأي والتثبت فيه.

ومن أمثالهم في هذا قولُهم: لا رأى لمن لا يطاع.

وكان المهلب يقول: إن من البليّة أن يكون الرأي بيد من يملكه دون من يبصره.

العُتبي قال: قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم! قال نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نُشاوره، فكأنا ألف حازم.

قال الشاعر:

الرأي كالليل مسودّ جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح
فاضمُم مصابيح آراء الرجال إلى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

العتبي قال: أخبرني من رأى عبد الله بن عبد الأعلى وهو أول داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده قال: ثم رأيته وإنه ليتقى كما يتقى البعير الأجرب فقال لي: يا أخا العراق، اتهمنا القوم في سريرتنا ولم يقبلوا منّا علانيتنا ومن ورائهم وورائنا حكم عدل.

ومن أحسن ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل قول سُبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بهم: يابني حنيفة بُعدًا لكم كما بَعدت عاد وثمود. أما والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأني أسمع جَرسه وأبصر غيبه، ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة، وإني لمّا رأيتُكم تتهمون النصيح وتُسفهون الحليم؛ استشعرت منكم اليأس وخفت عليكم البلاء. والله ما منعكم الله التوبة، ولا أخذكم على غِرة، ولقد أمهلكم حتى ملّ الواعظ، ووهَن الموعوظ؛ وكنتم كأنما يُعنى بما أنتم فيه غيرُكم، فأصبحتم وفي أيديكم من تكذيبي التصديق. ومن نصيحتي الندامة، وأصبح في يدي من هلاككم البُكاء، ومن ذُلّكم الجزع، وأصبح ما فات غير مردود، وما بقى غير مأمون.

---

(١) يغب: يبيت.

قال القطامي في هذا المعنى:

ومعصية الشفيق عليك مما ... تزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا
كذاك وما رأيت الناس إلا ... إلى ما جر غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من استركُّوا ... ويجتنبون من صدق المصاعا[1].

وكان يقال: لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها وكان يقال: لا رأي لحاقن ولا حازق وهو الذي ضغطه الخف ولا لحاقب وهو الذي يَجد رزًا[2] في بطنه.

وينشد في الرأي بعد فوته:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته ... حتى إذا فات أمْرٌ عاتب القدرا

ومن قولنا في هذا المعنى:

فلئن سمعت نصيحتي وعصيتها ... ما كنتُ أول ناصح مَعصِي

وقال حبيب في بني تغلب عند إيقاع مالك بن طوق بهم:

لم يألكم مالك صفحاً ومغفرة ... لو كان ينفخ قين الحي في فحم

حفظ الأسرار

قالت الحكماء: صَدرك أوسع لسرّك من صدر غيرك.

وقالوا: سِرك من دمك فانظر أين تُريقِه؟، يعنون أنه ربما كان في إفشائه سفك دمك.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف:

ولا تُفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا
فإني رأيت غواة الرِّجا ... ل لا يتركون أديماً[3] صحيحا

وقالت الحكماء: ما كنتَ كاتمه من عدوّك فلا تُطلع عليه صديقك!

---

(١) استركوا: استضعفوا والمصاع: المقاتلة والمجالدة بالسيف.

(٢) الرز «بالكسر»: الصوت.

(٣) الأديم: الجلد. يريد أن الغواة يمزقون أعراض الناس.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما استودعت رجلا سرًّا فأفشاه فلُمته؛ لأني كنت أضيق صدرًا منه حين استودعته إياه حتى أفشاه.

وقال الشاعر:

إذا ضاق صدرُ المرء عن سِر نفسه فصدر الذي يُستودع السرَّ أضيقُ

قيل لأعرابي: كيف كِتمانك للسر؟ قال: أجحد المُخبر وأحلف للمُستخبر.

وقيل لآخر: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما قلبي له إلا قبر.

وقال المأمون: الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثة أشياء: القدح في الملوك، وإفشاء السر، والتعرض للحُرَم.

وقال الوليد بن عُتبة لأبيه: إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً ولا أراه يطوى عنك، أفلا أحدثك به؟ قال: لا يا بُني، إنه من كتم سره كان الخِيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه، فلا تكُن مملوكا بعد أن كنت مالكًا.

وفي كتاب التاج[1] أن بعض ملوك العجم[2] استشار وزيريه فقال أحدهما: لاينبغي للملك أن يستشير منا أحداً إلا خاليا به، فإنه أموت للسر وأحزم للرأي وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشائه اثنين وإفشاءه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة؛ لأن الواحد رهن بما أفشى والثاني مطلق عنه ذلك الرهن والثالث علاوة فيه فإذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يُظهره رغبة ورهبة وإن كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض، فإن عاقبهما عاقب بذنب واحد، وإن اتهمهما اتهم بريئاً بجناية مجرم وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه.

وقال أبو محجن الثقفي:

لا تسألي الناس عن مالي وكثرته وسائلي الناسَ عن بأسي وعن خُلُقي
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عُرض وأكتمُ السر فيه ضربة العُنق

---

(١) كتاب التاج: لأبي عبيدة.

(٢) الملك هو سابور بن هرمز ذو الأكتاف، انظر الوزراء، والكتاب ص١١١.

الإذن

قال زياد لحاجبه عجلان: كيف تأذن للناس؟ قال: على البُيوتات، ثم على الأسنان، ثم على الآداب. قال فمن تؤخر؟ قال: من لا يعبأ الله بهم. قال: ومن هم؟ قال: الذين يلبسون كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء!.

وكان سعيد بن عُتبة بن حصين إذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا، فقيل له: إنك لتباعد من الآذِن جهدك. قال: لأن أدعى من بعيد خير من أن أُقصَى من قريب، ثم قال:

وإن مسيري في البلاد ومنزلي ... هو المنزلُ الأقصى إذا لم أقرَّبِ
ولست وإن أُدنيت يوما ببائع ... خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبُّبِ
وقد عدّه قوم تجارة رابح ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

وقال آخر:

رأيت أُناساً يسرعون تبادرًا ... إذا فتح البواب بابك إصبعا
ونحن جلوس ساكنون رزانة ... وحلما إلى أن يفتح الباب أجمعا

وقف الأحنف بن قيس ورجل بباب معاوية، فأذن للأحنف ثم أذن للرجل، فأسرع الرجل في مشيته حتى تقدَّم الأحنف ودخل قبله، فلما رآه معاوية غمه ذلك وأحنقه، فالتفت إليه، فقال: والله إني ماأذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله وإنا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم ولا يزيد متزيد في خطوه إلا لنقص يجده من نفسه.

قيل لمُعاوية: إن آذِنك يُقدِّم معارفه في الإذن على وجوه الناس. قال: وما عليه، إن المعرفة لتنفع في الكلب العقور والسَّبع الهصور والجمل الصؤول، فكيف في رجل حَسيب ذي كرم ودِين؟

وقالت الحكماء: لا يواظب أحد على باب السلطان فيُلقى عن نفسه الأنفة ويحمل الأذى ويكظم الغيظ إلا وصل إلى حاجته.

وقالوا: من أدمن قرع الباب يُوشك أن يُفتح له.

وقال الشاعر[١]:

كم من فتى قَصَرت في الرزق خطوته ... أصبتُه بسهام الرزق قد فلجا
إن الأمور إذا انسدت مَسالكها ... فالصبر يفتُق منها كل ما ارتتجا
لا تيأسنَّ - وإن طالت مُطالبةٌ - ... إذا استعنت بصبرٍ أن تَرى فرجا
أخلِق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ونظر رجل إلى روح بن حاتم واقفاً في الشمس عند باب المنصور؛ فقال له: قد طال وقوفك في الشمس! فقال: ليطول وقوفي في الظل.

وفي كتاب للهند: إن السلطان لا يُقَرِّب الناس لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم، فيقرب البعيد لنفعه ويُبعد القريب لضره، وشبهوا ذلك بالجرذ الذي هو في البيت مجاور، فمن أجل ضره نفي والبازي الذي هو وحشي، فمن أجل نفعه اقتني.

استأذن رجل على النبي ﷺ وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: أخرج إلى هذا فعلِّمه الاستئذان، وقل له يقول: السلام عليكم، أأدخل[٢].

وقال النبي ﷺ: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع[٣].

الحجاب

قال زياد لحاجبه: يا عَجلان، إني ولَّيتُك حجابتي وعزلتُك عن أربع: هذا المُنادي إلى الله في الصلاة والفلاح لاتحجُبه عني، فلا سُلطان لك عليه؛ وطارق الليل لا تحجبه، فشرٌّ ما جاء به، ولو كان في تلك الساعة؛ ورسلِ الثغر، فإنه إن أبطأ ساعة

---

(١) الشاعر: هو محمد بن بشير.

(٢) أخرجه أبو داود بنحوه في الأدب، باب كيف الاستئذان، ورواه أحمد من حديث ربعي بن حراش وسنده صحيح؛ انظر زاد المعاد لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، جـ٢، ص٤٢٩ فصل: هديه ﷺ في الاستئذان، مؤسسة الرسالة ١٤١٢هـ.

(٣) رواه البخاري في الاستئذان، باب التسليم والاستئذان. ثلاثاً، ورواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ كتاب الأدب/باب الاستئذان [٢١٥٤].

أفسد عمل سنة، فأدخله عليّ وإن كنت في لحافي؛ وصاحب الطعام، فإن الطعام إذا أعيد تسخينه فسد!.

استأذن أبو الدرداء على معاوية فحجبه، فقال: من يَغْشَ أبواب الملوك يقم ويقعد، ومن يجد باباً مغلقا يجد إلى جانبه باباً مفتوحاً، إن دعا أُجيب وإن سأل أُعطى.

وقال محمود الورّاق:

شاد الملوكُ قصورهم فتحصنوا ... من كل طالب حاجة أو راغب
غالوا بأبواب الحديد لعِزها ... وتنوقوا[1] في قُبح وجه الحاجِب
فإذا تلطف للدخول عليهم ... راجٍ تلقَّوه بوعد كاذب
فاطلب إلى ملك المُلوك ولا تكُن ... بادي الضَّراعة طالباً من طالب

سعيد بن مُسلم قال: كنت والياً بإرمينية فغبر[2] أبو هِفان أياماً ببابي ولا أعلم به، فلما وصل إليَّ مثل قائماً بين السمَّاطين وقال: والله إني لأعرف أقواما لو علموا أن سَفَ التراب يُقيم من أود أصلابهم لجعلوه مُسكة لأرماقهم إيثارًا للتنزه عن عيش رقيق الحواشي. أما والله إنّي لبعيد الوثبة بطيء العطفة. إنه والله ما يَثنيني عنك إلا ما يصرفك عني، ولأن أكون مُقلاً مُقرباً أحب إليَّ من أكون مُكثرًا مُبْعَداً. والله ما نسأل عملاً لا نضبطه، ولا مالاً إلا ونحن أكثر منه. وهذا الأمر الذي قد صار إليك وفي يدك قد كان في يد غيرك قبلك فأمسوا والله حديثاً، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. فتحبب إلى عباد الله بحسن البِشْر ولين الجانب وتسهيل الحجاب؛ فإن حُب عباد الله موصول بحب الله، وبغضهم موصول ببغضه؛ لأنهم شهداء الله على خلقه، ورُقباؤه على من اعوجَّ عن سبيله.

أبو مُسهِر قال: أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان فحُجبت، فكتبت إليه:

---

(١) تنوقوا: بالغوا.

(٢) غبر: مكث وبقى.

إني أتيتُك للتسليم أمس فلم ... تأذن عليك لي الأستارُ والحُجُبُ
وقد علمت بأنِّي لم أُرَدَّ و ـ لا ... والله ـ ما رُدَّ إلا العِلمُ والأدبُ

فأجابني محمد بن عبد الله بن عبد كان فقال:

ولو كنت كافأت بالحُسنى لقلت كما ... قال ابن أوس[1] وفيما قاله أدبُ:
«ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً ... إن السَّماء تُرجَّى حين نحتجب»

وقف بباب محمد بن منصور رجلٌ من خاصته فحجب عنه فكتب إليه:

على أيِّ باب أطلب الإذن بعد ما ... حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه

وقف أبو العتاهية إلى باب بعض الهاشميين فطلب الإذن؛ فقيل له: تكون لك عودة. فقال:

لئن عُدتُ بعد اليوم إني لظالم ... سأصرِف وجهي حيث تُبغَى المكارمُ
متى يظفرُ الغادي إليك بحاجة ... ونِصفُك محجوب ونصفُك نائِم

ونظير هذا المعنى للعتابي حيث يقول:

قد أتيناك للسلام مرارًا ... غير مَنٍّ مِنَّا بذاك المزار
فإذا أنت في استتارك بالليل ... على مثل حالنا بالنهار

وقف رجل بباب أبي دُلف، فأقام حينًا لا يصل إليه، فتلطف برقعة أوصلها إليه، وكتب فيها:

إذا كان الكريمُ له حَجابٌ ... فما فضل الكريم على اللئيمِ ؟!

فأجاب أبو دُلف:

إذا كان الكريمُ قليلَ مال ... ولم يُعذَر تعلَّل بالحَجاب
وأبوابُ المُلوك محجباتٌ ... فلا تستعظِمَنَّ حجابَ بابي

وقال حبيب الطائي في الحِجاب:

سأترك هذا الباب مادام إذنهُ ... على ما أرى حتى يلين قليلا
فما خاب من لم يأته مُتعمّدا ... ولا فاز من قد نال منه وصولا

---

(١) ابن أوس: هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي.

ولا جُعلت أرزاقنا بيد أمريء ... حمى بابه من أن يُنال دخولا
إذا لم نجد للإذن عندك موضعاً ... وجَدنا إلى ترك المجيء سبيلا

وقال غيره:

إذا ما أتيناه في حاجةٍ ... رفعنا الرِّقاعَ له بالقَصب
له حاجب دونه حاجِبٌ ... وحاجب حاجِبه مُحتجب!

وقد قلت في ذلك:

إذا كنت تأتي المرءَ تُعظم حقه ... ويجهل منك الحق فالهجر أوسَع
وفي الناس أبدالٌ وفي الهَجر راحةٌ ... وفي الناس عَمَّن لا يُواتيك مَقنع
وإنّ أمرأً يرضى الهوان لنفسه ... حَريٌّ بجدع الأنف والأنف أسنع[1]

وقال آخر:

يا أبا موسى وأنت فتىً ... ماجد حلو ضرائبه
كن على منهاج معرفة ... إنَّ وجه المرء حاجبه
فيه تبدو محاسنه ... وبه تبدو معايبه

وقال أحمد بن محمد البغداديّ في الحسن بن وهب الكاتب:

ومُستنْبِ عنِ الحسن بن وهب ... وعمّا فيه من كرم وخير
أتاني كي أُخبِّره بعلمي ... فقلتُ له سقطتَ على الخبير
هو الرجل المهذب غير أنّي ... أراه كثير إرخاء الستور
وأكثر ما يغنيه فتاهُ ... حُسيٌّ حين يخلو بالسرور
ولولا الريحُ أسمع أهلُ حَجر ... صليلَ البَيض تُقرعُ بالذُّكور

ومن قولنا في هذا المعنى:

ما بالُ بابك محروساً ببوَّاب ... يحميه من طارق يأتي ومُنتاب
لا يحتجب وجهك الممقوت عن أحد ... فالمقت يحجبُه من غير حجَّاب
فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبُه ... فإنّ وجهك طِلَّسْمٌ على الباب

---

(١) الأسنع: المرتفع العالي؛ ومنه شرف أسنع، إذا كان كذلك.

ووقف حَبيب بن أوس الطائي بباب مالك بن طوق فحُجب عنه. فكتب إليه يقول:

قُل لابن طوق رحى سعد إذا طحَنت ... نوائبُ الدهر أعلاها وأسفلها
أصبحت حاتِمها جُودًا وأحنفها ... حِلما وكيّسها علما ودغفلها
مالي أرى القُبّة البيضاء مُقفلة ... دوني وقد طالَما استفتحت مُقفلها

باب من الوفاء والغدر

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال مُلكه: قد احتجت إلى أن تصير مع عدوّي وتُظهر الغدرَ بي؛ فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تَدعوهم إلى حسن الظنّ بك، فإن استطعتَ أن تنفعني في حياتي وإلا لم تعجز عن نفع حرمى بعد موتي. فقال عبد الحميد: إن الذي أمرتَ به أنفع الأشياء لك وأقبحها بي، وما عندي غير الصبر معك، حتى يفتحَ الله عليك أو أقتل معك. وأنشأ يقول:

أسِرُّ وفاء ثم أظهر غدرة ... فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرُه

أبو الحسن المَدائني قال: لما قَتلَ عبد الملك بن مروان عمرَو بن سعيد بعد ما صالحَه وكتب إليه أمانا وأشهد شهودًا، قال عبد الملك بن مروان لرجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه إذا ضاق به الأمر: مارأيك في الذي كان منّي؟ قال: أمرٌ قد فات دَركه. قال: لتقولَن. قال: حزم لو قتلته وحييتَ. قال: أو لست بحيّ؟ فقال: ليس بحيّ من أوقف نفسه موقفا لا يُوثق له بعهد ولا بعقد. قال عبد الملك: كلام لو سبق سماعه فِعْلي لأمسكت.

المدائني قال: لما كتب أبو جعفر أمان ابن هُبيرة[1] واختلف فيه الشهود أربعين يومًا، ركب في رجال معه حتى دخل على المنصور، فقال له: ياأمير المؤمنين إنَّ

(١) ابن هبيرة، هو يزيد بن عمر بن هبيرة. وكان عاملا لمروان بن محمد، آخر ملوك بني أمية على العراق.

دولتكم هذه جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجَنِّبوهم مَرارتها؛ لتُسرِع محبتُكم إلى قلوبهم، ويعذُب ذكرُكم على ألسنتهم، ومازلتُ منتظرًا لهذه الدعوة. فأمر أبو جعفر برفع الستر بينه وبينه، فنظر إلى وجهه وباسَطه بالقول حتى اطمأن قلبُه. فلما خرج قال أبو جعفر [لأصحابه]: عجباً لمن يأمرني بقتل مثل هذا! ثم قتله بعد ذلك غدرًا!.

الولايـة والعـزل

قال النبي ﷺ: «**ستحرصون على الإمارة، ثم تكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة**»(١).

وقال المُغيرة بن شعبة: أُحب الإمارة لثلاث وأكرهها لثلاث: أحبها لِرفع الأولياء، ووضع الأعداء، واسترخاص الأشياء. وأكرهها لروعة البريد، وموت العزل، وشماتة الأعداء.

قيل لعبد الله بن الحسن: إن فلاناً غيَّرته الولاية قال: من وُلِّي ولاية يراها أكبر منه تغيَّر لها، ومن وُلِّي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها.

ولما عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المغيرة بن شعبة عن كتابة أبي موسى، قال له: أعن عجز أم خيانة ياأمير المؤمنين؟ قال: لا عن واحدة منهما، ولكنّي أكره أن أحمل فضل عقلك على العامة(٢).

وكتب زياد إلى معاوية: قد أخذتُ العراق بيميني وبقيت شمالي فارغة ـ يُعرِّض له بالحجاز ـ فبلغ ذلك عبد الله بن عمر، فرفع يده إلى السماء وقال: اللهم اكفنا شمال زِياد. فخرجت في شماله قرحة فقتلته.

ولقي عمر بن الخطاب أبا هريرة، فقال له: ألا تعمل؟ قال: لا أريد العمل.

---

(١) أخرجه البخاري والنسائي عن أبي هريرة بلفظ: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وإنها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة**».

(٢) ذكر ابن الأثير سبب عزل عمر للمغيرة بن شعبة عن البصرة، انظر: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص٣٧٨، دار الكتاب العربي.

قال: قد طلب العمل من هو خير منك، يوسُف عليه الصلاة والسلام. قال: ﴿**اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**﴾[١].

وأراد عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلاً، فبادر الرجل فطلب منه العمل. فقال له عمر: والله لقد كنتُ أردتُك لذلك، ولكن من طلب هذا الأمر لم يُعن عليه.

وطلب العباس عمّ النبي ﷺ من النبي ولاية، فقال له: ياعمِّ نفس تُحييها خير من ولاية لا تُحصِيها[٢].

وطلب رجل من أصحاب النبي ﷺ عملاً، فقال له: «**إنا لا نستعين على عملنا بمن يريده**»[٣].

وقال زياد لأصحابه: من أغبطُ الناس عَيشاً؟ قالوا: الأمير وأصحابه. قال: كلا، إنّ لأعواد المنبر لهيبة، ولِقَرع لجام البريد لفزعه. ولكن أغبط الناس عيشاً رجل له دار يجري عليه كراؤها، وزوجة قد وافقته في كفاف من عيشه لا يعرفنا ولا نعرفه، فإن عرفنا وعرفناه، أفسدنا عليه آخرته ودنياه!

باب من أحكام القضاة

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إذا كان في القاضي خمسُ خِصَال فقد كَمل: عِلم بما كان قبله، ونزاهة عن الطَّمَع، وحِلم على الخصم، واقتداء بالأئمة، ومُشاورة أهل العلم والرأي[٤].

وقال عمرُ بن عبد العزيز: إذا أتاك الخصم وقد فُقئت عينه، فلا تحكم له حتى يأتي خصمُه، فلعله قد فُقئت عيناه جميعاً.

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٥ وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص٦١٢.

(٢) ابن سعد/ الطبقات وقد ورد في باب «اختيار السلطان لأهل عمله» وقد تكلمنا عنه.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري بلفظ: «إنا والله لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحدًا حرص عليه».

(٤) ذكره ابن قتيبة بنحو ذلك، المصدر السابق، جـ١، ص١٢٦.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى معاوية كتاباً في القضاء يقول فيه: إذا تقدم إليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة، أو اليمين القاطعة، وإدناء الضعيف حتى يشتد قلبُه؛ وينبسط لسانه. وتعاهد الغريب، فإنك إن لم تتعاهده ترك حقه، ورجع إلى أهله، وإنما ضيع حقه من لم يرفق به. وآس بين الناس في لحظك وطرفك، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك فصل القضاء.

العُتبي قال: تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبُختيشُوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي داود القاضي في مجلس الحُكم في عقار بناحية الشواد، فزَرَى عليه ابن المهدي وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي داود. فأحفظه ذلك، فقال: ياإبراهيم، إذا نازعت أحداً في مجلس الحكم فلا أعلمن أنك رفعت عليه صوتاً، ولا أشرت إليه بيد؛ وليكن قصدُك أمما، وطريقك نهجاً، وريحك ساكنة. ووفِّ مجالسَ الحُكومة حقوقها من التوقير والتعظيم والتوجيه إلى الواجب، فإن ذلك أشبه بك، وأشكل لمذهبك في محتدك وعظم خطرك. ولا تعجل، فرُبَّ عجلةٍ تَهب ريثاً، والله يعصمك من الزلل، وخطل القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل، إن ربك حكيم عليم، قال إبراهيم: أصلحك الله، أمرت بسداد، وحضضت على رشاد، ولست بعائد إلى ما يثلم مُرُوءتي عندك، ويُسقطني من عينك، ويُخرجني عن مقدار الواجب إلى الاعتذار، فها أنذا مُعتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مُقر بذنبه، باخِع بجُرمه؛ فإن الغضب لا يزال يستفزني بمودة فيردني مثلك بحمله، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وقد وهبتُ حقي من هذا العقار لبُختَيشوع، فليت ذلك يقوم بأرش[1] الجناية، ولن يتلف مال أفاد موعظة. وبالله التوفيق.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري ـ رواها ابن عُيينة ـ:

أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسُنَّة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك الخصم،

---

(١) الأرش: الدية.

فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس[١] بين الناس في مجلسك ووجهك، حتى لا يطمع شريف في حيفك[٢]، ولا يخاف ضعيف من جورك، البيّنة على من ادَّعَى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صُلحاً أحل حراماً أو حرم حلالا. ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس ثم راجعت فيه نفسك، وهُديت فيه لرشدك أن ترجع عنه، فإن الحق قديم، والرجوع إليه خير من التمادي على الباطل. الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ واعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور عند ذلك، ثم اعمد إلى أحبّها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق، واجعل للمدّعي أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بيّنه أخذت له بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء، فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر. والمسلمون عُدول بعضهم على بعض، إلا مجلودًا في حَدٍّ، أو مجرَّباً عليه شهادة زور، أو ظنينًا في ولاء أو قرابة أو نسب، فإن الله عز وجل وليّ منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات والأيمان. ثم إياك والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحقوق التي يُوجب الله عز وجل بها الأجرَ، ويُحسن بها الذخر، فإنه من تخْلُصُ نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافَه منه هتك الله سِترَه[٣].

وكتب عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم، فاحذر أن تُدركني وإياك عمياءُ مجهولة، وضغائن محمولة، وأهواء مُتبعة، ودنيا مُؤثرة. أقم الحدود واجلس للمظالم ولو ساعة من النهار، وأخِف الفساق واجعلهم يداً يداً، ورجلاً رجلاً[٤] وإذا كانت بين القبائل نائرة فنادوا: يالفلان، فإنما تلك نجوى من الشيطان فاضربهم بالسيف؛ حتى يفيئوا إلى أمر الله

(١) آس بين الناس أي سَوِّ بينهم، واجعل كل واحد منهما أسوة بخصمه.

(٢) قوله: «حتى لا يطمع شريف في حيفك» أي: في ميلك معه لشرفك، انظر: المبرِّد، الكامل في اللغة والأدب، جـ١ ص١٠، مؤسسة المعارف - بيروت.

(٣) أورده ابن قتيبة مع بعض الاختلاف، المصدر السابق، جـ١، ص١٣٣، وانظر: المبرد، المصدر السابق، جـ١، ص٨، و٩.

(٤) اجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً أي فرِّق بينهم.

عز وجل، وتكون دعواتهم إلى الله والإسلام. واستدم النعمة بالشكر، والطاعة بالتألف، والمقدرة بالعفو، والنصرة بالتواضع والمحبة للناس، وبلغني أن ضبَّة تنادي: يالضبَّة وإني والله ما أعلم أن ضبَّة ساق الله بها خيراً قطّ، ولا صرف بها شرا. فإذا جاءك كتابي هذا، فانهَكهم عقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا، وألصق بغيلان بن خرشة مَنْ بينهم. وعُد مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم، وباشر أمورهم بنفسك، وافتح لهم بابك؛ فإنما أنت رجل منهم، غير أن الله قد جعلك أثقَلهم حِملا.

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلُها، فإياك يا عبد الله أن تكون كالبهيمة همُّها في السّمن والسِّمن حَتفُها. واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيّته، وأشقى الناس من يشقى به الناس، والسلام[1].

أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يغزو قوماً في البحر، فكتب إليه عمرو ابن العاص، وهو عامله على مصر: ياأمير المؤمنين، إن البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير، دود على عود. فقال عمر: لا سألني الله عن أحد أحمله فيه[2].

الشعبي قال: كنت جالساً عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب، وتبكي بكاء شديداً. فقلت: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة. قال: وما علمك؟ قلتُ: لبُكائها. قال: لاتفعل، فإن إخوة يوسُف جاءوا أباهم عِشاء يبكون وهم له ظالمون[3].

وكان الحسن بن أبي الحسن لا يرى أن يردّ شهادة رجل مُسلم إلا أن يُجَرّحه المشهود عليه. فأقبل إليه رجل، فقال: ياأبا سعيد، إن إياساً رد شهادتي. فقام معه الحسن إليه فقال: ياأبا واثلة، لم رددت شهادة هذا المسلم، وقد قال رسول الله ﷺ،

---

(١) أورده ابن قتيبة مع بعض الاختلاف، المصدر السابق، جـ١، ص٦٥.

(٢) الصحيح أن عمرو بن العاص أرسل إلى عمر يستأذنه ركوب البحر للجهاد فطلب منه عمر أن يصف البحر فلما وصفه عمرو امتنع عمر وقال قولته.

(٣) ذكرها ابن قتيبة، المصدر السابق، جـ١، ص١٣٢.

«من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا»[١]؟ فقال: ياأبا سعيد، إن الله عز وجل يقول: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾[٢] وهذا ممن لا يُرضَى.

ودخل الأشعث بن قيس على شُريح القاضي في مجلس الحكومة فقال: مرحباً وأهلا بشيخنا وسيّدنا، وأجلسه معه. فبينما هو جالس عنده إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث، فقال له شريح: قم فاجلس مجلس الخصم وكلِّم صاحبك. قال: بل أكلِّمه من مَجلسي. فقال له: لتقومنَّ أو لآمرنَّ من يُقيمك. فقال له الأشعث: لشد ما ارتفعت! قال: فهل رأيت ذلك ضَرَّك؟ قال: لا. قال: فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك.

وأقبل وكيع بن أبي سُود صاحب خُراسان ليشهدَ عند إياس بشَهادة، فقال: مرحبًا وأهلا بأبي مُطرف وأجلسه معه، ثم قال له: ماجاء بك؟ قال: لأشهد لفلان. فقال: مالك وللشهادة، إنما يشهد الموالي والتجار والسُّوقة. قال: صدقت، وانصرف من عنده. فقيل له: خدعك، إنه لا يقبل شهادتك. قال: لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب.

دخل عديّ بن أرطاة على شُريح، فقال: أين أنت أصلحك الله؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: إنّي رجل من أهل الشام. قال: نائي الدار سحيق المَزار. قال: قد تزوجت عندكم. قال: بالرِّفاء والبَنين. قال: وولد لي غلام. قال. ليَهنِئك الفارس. قال: وأردت أن ارَحِّلَها. قال: الرجل أحق بأهله قال: وشرطت لها دارها، قال الشرط أملك. قال فاحكم الآن بيننا. قال: قد فعلت، قال: على من قضيت؟ قال: على ابن أُمِّك. قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك. يريد إقراره على نفسه.

---

(١) رواه البخاري عن أنس بلفظ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم». كتاب الصلاة/باب فضل استقبال القبلة.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢.